الحنين والغربة عند شعراء المهجر الشمالي

م.م. أسامه شحاذه جواد المشهداني

طالب الدكتوراه / جامعة الجنان – كلية الآداب – قسم اللغة العربية – الآدب العربي / لبنان

Osamajowad٢٤@gmail.com

الملخص:

تعد مدرسة شعراء المهجر الشمالي من أهم المدارس الأدبية في العصر الحديث، وأن في اغترابهم المكاني والاجتماعي، وحنينهم إلى المكان والإنسان، يتوافقون مع معاني الغربة والحنين التي وردت في المعاجم اللغوية.

كان شعر هؤلاء المهجرين صادقاً، ومؤثراً، ومعبراً عن عواطفهم ومشاعرهم، وقد غلبت الرومانسية على قصائدهم، وتعدد الموضوعات في المهجر من حنين إلى الوطن والحنين إلى الأهل والأحبة وكذلك الحنين للماضي المجهول، وقد عمل الشعراء على تطوير الموسيقى الشعرية، فقصائد الغربة والحنين كان لها نصيب في تطوير الصورة الموسيقية.

إنّ قصائد الغربة والحنين عن شعراء المهجر الشمالي عبارة عن لوحة فنية رومانتيكية، لأنها مكونة من صور جزئية متماسكة قوامها المشاهد الطبيعية التي تشكل تجسيداً لأفكارهم وعواطفهم وخيالهم الخصيب.

الكلمات المفتاحية: (الحنين والغربة، شعراء المهجر الشمالي).

Nostalgia and alienation among the poets of the northern diaspora

Osama beggar Jawad al-Mashhadani

PhD Student / Jinan University – Faculty of Arts – Department of Arabic Language – Arabic Literature / Lebanon

Abstracts:

The school of poets of the northern diaspora is considered one of the most important literary schools in the modern era, and that in their spatial and social alienation, and their nostalgia for place and man, they correspond to the meanings of alienation and nostalgia that are mentioned in the linguistic dictionaries.

The poetry of these displaced people was sincere, influential, and expressive of their emotions and feelings. Romanticism dominated their poems, and the multitude of topics in the Diaspora, such as longing for the homeland, longing for family and loved ones, as well as nostalgia for the unknown past. Poets worked on developing poetic music. The

poems of alienation and nostalgia had A share in the development of the musical image.

The poems of alienation and nostalgia about the poets of the northern Diaspora are a romantic painting, because they are made up of partial, coherent images based on natural scenes that are the embodiment of their ideas, emotions, and fertile imagination.

Keywords: (nostalgia and alienation, poets of the northern diaspora).

المقدمة:

فالك تباين بين الوطنية والقومية من حيث المدلول السياسي لكل منهما مع أنهما يرتبطان ارتباطاً كلياً إذ ينمي بعضهما البعض الآخر ويشمل من آزره، فالقومية يراد بها " ارتباط الفرد بجماعة من البشر تعرف بأسم الأمة" [١] . بينما يراد بالوطنية" أرتباط الفرد بوطنهِ، وحبه لطبيعته وأهله، والعمل لخيره ومصلحته" [٢] ، ولذلك يمكن القول إن الإحساس أو الشعور القومي ينمي الوطنية ويقومها،" لأن حب الوطن يتضمن- بطبيعته- حب المواطنين الذين ينتمون إلى ذلك الوطن، كما أن حب الأمة يتضمن- في الوقت نفسه-حب الأرض التي تعيش عليها تلك الأمة [٣] . لقد تجلّت عاطفة الشاعر المهجري تجاه وطنه في شعر الحنين والغربة، كما تجلّت مشاعره وأحاسيسه نحو قومه في شعره" فكأن هذين الغرضان شطران لقلب واحد وصورتان لنفس واحدة" في قصائد الحنين عودة إلى الوطن وتعلق بأرضه وشوق إلى مرابعه، وفي أشعار القومية غيرةً على أهل الوطن وتجاوب مع الآمهم وآمالهم وارتباط بمنازعهم ومصائرهم، على أنّ شعر الحنين والشعر القومي وإن كانا يستقيان من معين واحد منهما يتمايزان في طبيعتهما، ففي قصائد الحنين قدركبير من العناصر العاطفية والملامح الذاتية التي تعبر عن واقع الشاعر النفسي ، ومن هنا اتسمت قصائد الحنين بسمات الخيال ، على حين قل احتواؤها على عناصر الفكر والواقع [٤].

وقد قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين، وينتهي بحثي هذا بخاتمة ثم قائمة بالمصادر والمراجع والله الموفق .

الحنين والغربة عند شعراء المهجر الشمالي

التمهيد :

إن الذي يقرأ الشعر العربي بدءاً من عصر ما قبل الإسلام وإلى يومنا هذا يجد "أن تجربة الاغتراب عن الأوطان والحنين اليها من أضخم التجارب وأكثرها أصالة وصدقاً في هذا الشعر، فنحن لا نكاد نعرف أمة مجدت أوطانها وقدستها وحنت إليها على البعد وفنيت في حبها والوفاء لها مثل ما كان من الأمة العربية، فالارتباط بالأرض عندها هو ارتباط التاريخ والمصير، وعاطفة الوطنية في وجدانها عاطفة قوية مشبوبة يذكيها البعد ويؤججها الاغتراب، والوفاء للأهل والعشير لديها لا يقل عن الوفاء للنفس ومرد هذا كله يرجع إلى التأثر الشديد بقيم الحضارة الروحية التي اكتنفت حياتها منذ تأريخها الطويل" (٥) .

(إنَّ الغربة عن الوطن طويلة كانت أم قصيرة قد طعمت الأدب العربي، شعره ونثره، بلون ظل متميزاً به منذ القدم الى وقتنا هذا، لأن الغربة وما تثيره في النفس من حنين إلى الأوطان قد أمدت حصيلة الادب العربي بفيض واضح من التعبير عن الحنين ووصفه ، ووصف آثاره في النفس وصفة مكابدة المغتربين له ومعاناتهم أياه إلى أن تزول أسباب الغربة أو يعود الشمل إلى الالتئام، فيسكت ذلك النغم الذي يظل مستجيباً لدواعي الشوق والحنين مدة الاغتراب) (٦) .

المبحث الأول:-

أولاً : الحنين والغربة في الشعر القديم والموروث

ويرى الدكتور أنس داود أن الدكتور شوقي ضيف لم يميز بين شعرنا الموروث في الحنين إلى الوطن وشعر الحنين المهجري وأنه قد محا كل فرق بينهما فقوله: "أن شعراء المهجر في هذا الشعر أنما يعبرون عن روح عربية أصيلة، وهل حياة العرب كلها الا حنين وذكرى، وهل هم منذ كانوا إلا رحلوا ... بادبتهم في أثناء العصر الجاهلي من عشب إلى عشب، ورحلوا في مشارق الأرض ومغاربها في أثناء العصور الإسلامية من بلد الى بلد. ودائماً في حقائبهم ذكرى ملاعبهم لهذا الحنين الذي نما معهم على مر الزمن واختلاف المنازل والأمكنة" (٧) .

ولا أتفق مع الدكتور أنس داود في حكمه هذا فلا يستشف من كلام الدكتور شوقي ضيف أنه جعل شعر الحنين في عصوره الماضية مساوياً لشعر الحنين بالمهجر ؛ لأن الفرق بين الشعرين في هذا الموضوع واضح، وهذا الفرق لم يكن في عدد القصائد والدواوين التي صدرت في شعر الحنين حسب"وأن ما قاله شعراء المهجر في نصف جيل يفوق كل ما قيل في هذا الشعر في تراثنا.

ولا أنه تفوق شعراء المهجر الواضح على شعراء التراث في تصوير عواطف الحنين ومناعم الطفولة وجمال الموطن النازحين منه ومشاعر المحبة له والهيام به.

بل أن الفرق الجوهري هو نوع الغربة التي أحس بها كل من الشعرين [٨] .

إذ يرى الدكتورأنس داود" أن الشعر القديم يصور الغربة المكانية بينما يصور شعراً لمهجر الغربة النفسية الحائرة " ، ويبدو لي أنه لم يتوفق في هذا الفرق ؛ لأننا نجد في شعر التراث ما يصور الغربة النفسية وماقصيدتا مالك بن الريب وأبن زيدون ببعيدتين عنا، وسنذكرهما بعد الانتهاء من مناقشة جميع آرائه.

أما قوله: ((هناك غربة بسيطة ساذجة، وهنا غربة معقدة بعيدة الأغوار غربة مفلسفة عميقة.. غربة عن العالم ، تستبطن الذات ، وتسير أغوار الوجود بحثاً عن موطن آمن)) .

وفي مثل هذه الغربة يبدو الحنين إلى الطفولة حنيناً إلى ميلاد جديد للعالم بديلاً عن الذات المفقودة في الخضم المتشابك..

وبينما تبدو مناعم الطفولة في شعر التراث أشياء بسيطة بريئة حقيقة، تبدو في شعر المهجر أشياء رمزية تخفي وراءها أو تحمل في طياتها الايماء الى أشياء أعمق وأهم" [٩].

إن طبيعة الحياة وما يحيط بالانسان العربي قديماً وحديثاً هي التي أوجدت هذا التغير في الإحساس والمشاعر فيما يتعلق بالغربة وما يرافقها من آثار نفسية، ولهذا يمكن القول إن " تجربة الاغتراب في الشعر العربي عميقة متعددة الدوافع، فالشاعر منذ العصر الجاهلي يتغنى بوطنه إذا رحل عنه، وتهفو نفسه إليه وتتقد روحه شوقاً إلى كل ما فيه،وقد يشعر بغربة الروح والفكر وهو يعيش تحت

سماء وطنه وفوق أرضه ، وذلك إذا عني بنوع من الحصار أو الضغط بالنسبة لدينه أو فكره أوعقيدته السياسية أو طبقته الاجتماعية، وحينئذ لا يستطيع أن ينعم بلذة الأمن والاستقرار، ويجتاح نفسه إحساس مرير بالغربة وعدم الشعور بالانتماء الحقيقي فلا يجد بداً من أن يسجل احساسه هذا في شعر ينبض بالحيوية والصدق" (١٠) .

وبما أننا قد تحدثنا عن قدم شعر الحنين وذكرنا أن جذوره تمتد إلى عصر ما قبل الإسلام فلا بد من الاستشهاد بأبيات تعزز ما ذهبنا إليه.

أن طبيعة الحياة في عصر ما قبل الإسلام تفرض على الناس الانتقال من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ، " ولا بدَّ لشعرائهم من تذكر ديارهم التي غادروها والبكاء على ما خلفوا فيها من بقايا مظاهرالحياة التي عرفت باسم الاطلال، وقديماً سنَّ لهم شيخهم وكبيرهم امرؤ القيس سُنَّة في ذلك (١١) فقال :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بِسَقَطِ اَللَّوَىْ بَيْنَ اَلدُّخُولِ فُحُومْلْ (١٢)

ثانياً : الحنين والغربة في زمن الصعاليك :-

هنالك فريق آخر من شعراء ما قبل الإسلام كان إحساسهم بالغربة فاجعاً، وهم الصعاليك الذين نبذتهم قبائلهم فهاموا في الصحراء أحراراً فيما يبدو ، ومشردين غرباء في الواقع، فأننا نلتفت إلى ما ترك الخلع في وجدانهم من أثرعميق نافذ، سجلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية، وقسوة الحرمان من السكن والأهل والدار ، بل أن سلوكهم نفسه كان يطوى وراء الاستهانة بالحياة والانطلاق في الفضاء العريض والمغامرة الفتاكة المثيرة، وسخرية مريرة بالحرية الفردية، وشعوراً عميقاً بالتمزق والضياع" (١٣).

ان لامية الشنفري (ثابت بن أوس الأزدي) فنجد خير دليلٍ على ما ذكرناه. حين يقول :

أَقِيمُوا بُنِي أُمِّيَّ صُدُورِ مَطِيِّكُمْ ** فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لِأَمِيلَ

وَلِي دُونِكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدُ عَمْلَسْ ** وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعُرَفَاءُ جِيَالْ

هُــمْ اَلْأَهْــلُ لَا مُسْــتَوْدَعَ اَلسِّــرِّ ذَائِــعٌ ** لَــدَيْهِمْ وَلَا اَلْجَــانِي بِمَــا جَــرَّ يَخْــذُلُ

ثالثاً : الحنين والغربة في العصر الإسلامي والأموي :-

وفي العصر الإسلامي والأموي نجد كثيراً من القصائد تتحدث عن الشوق والحنين إما للديار أو لأصحاب الديار الذين غادروها بعد ما كانت بهم آهلة.

وقصيدة الشاعر مالك بن الريب المشهورة، تلك القصيدة التي رثى فيها نفسه حين ألم به الموت في خراسان:

أَلَّا لَيْــتَ شِــعْرِي هَــلْ أَبَيْــتُنَّ لَيْلَــةً ** بِجَنْبِ اَلْغَضَا أُزْجِي اَلْقلَّاصْ اَلنَّوَاجِيــا
فَلَيْتَ اَلْغَضَــا لَــمْ يَقْطَــعْ اَلرَّكْــبُ عَرْضَــهُ ** وَلَيْتَ اَلْغَضَا مَاشَى اَلرُّكَّابُ لِيَالْيَــا
فَيَــا صَــاحِبِي رَحْلَــيْ دَنَــا اَلْمَــوْتُ فَــانْزِلَا ** بِرَابْيَّــــة أَنِّــــي مُقِــــيمٌ لِيَالْيَــــا
وَخَطَّا بِأَطْــرَافِ اَلْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي ** وَرَدَّا عَلَيَّ عُنِــيَ فَضْــلُ رَدَائْيَــا
خُذَانِي فَجَرَانِي بِثَوْبِي إِلَيْكُمَــا ** فَقَدْ كُنْتُ قِبَلَ اَلْيَوْم صَعْبًا قِيَادِيًّــا
تَــذَكَّرْتُ مِــنْ يَبْكِــي عَلَــي فَلَــمْ أَجِــدْ ** سِــوَى اَلسَّــيْفِ وَالــرُّمْح اَلرُّدَيْنِــي بَاكِيًــا [١٤]

إن الغربة في هذه الأبيات لم تكن بعداً عن مكان القبيلة أو رحيلها، ولكنها بُعد عن الجزيرة العربية كلها، عن أهلها ومعالمها، وهذا اللون فيه بلورة للشعور العاطفي تجاه الوطن. فكل شيء يذكره به، صوت الناقة، حمامة تنوح أسماء الأماكن في البادية، ذكريات الشباب هناك.

وحينما نزح البحتري من بلدته بين حلب والفرات، وهي من أجمل مدن الشام وأغناها بمفاتن الطبيعة وسحرها ليكون على مقربة من بلاط الخلافة في بغداد، إذ موارد المال والعطاء، لم يستطع أن يسلوعن وطنه أو ينساه، ولكنه كان دائم التذكار له والحنين إليه، والاشتياق إلى جمال الحياة ونعيمها بين ربوعه [١٥] ، أنه يقول :

حَنَــــتْ رُكَّــــابِي بِــــالْعِرَاقِ وَشَــــاقَّها ** فِــــي نَــــاجِرْ بِــــرَدِّ اَلشَّــــامِ وَرِيفِــــهِ [١٦]

ويقول:

ذَكَرَتْنَـــا عَهْـــدَ اَلشَّـــامِ وَعَيْشِـــنَا ** بَـــيْنَ اَلْقِبَـــابِ اَلسُّـــودِ وَالْهضَـــمَاتْ [١٧]

رابعاً : الحنين والغربة في العصر الحديث :-

وفي العصر الحديث فإن شوقي يمثل لنا في قصيدته الاندلسيتين اللتين نظمهما في المنفى الحنين إلى الوطن. ففيهما يصف وحدته في مدينة برشلونة، وكيف أنه لا ينسى مصر، وأن هذا الحنين يعظم كلما اشتدت عليه الأيام. كما أنه لا ينسى وطنه حتى ولو كان في جنة الخلد:

وَسَـلَّا مِصْـرٌ هَـلْ سُـلَّا الْقَلْـبِ عَنْهَـا ** أَوْ أُسُّ جُرْحِـــهِ الزَّمَـــانَ المؤســـي

كُلَّمَـــا مَـــرَّتِ اللياـــالي عَلَيْـــهِ ** رَفَّ ، وَالْعَهْـــدُ فِـــي اَللَّيَـــالِي تَقْسِـــي

ثم يقول :

وَطَنِـــي لَـــوْ شَـــغَلَتْ بِالْخُلْـــدِ عَنْـــهُ ** نَـــازَعَتْنِي إِلَيْـــهِ فِـــي اَلْخُلْـــدِ نَفْسِـــيّ

شَـــهِدَ اَللَّهُ لَـــمْ يَغِـــبْ عَـــنْ جُفُـــونِي ** شَخْصُـــهُ سَـــاعَةً وَلَـــمْ يُخِـــلْ حِسِّـــيٌّ [١٨]

ومن هذا كله يمكن القول أن تجربة الاغتراب عن الأوطان والإحساس الدافق بالحنين إليها ، هي تجربة من أغنى التجارب وأخصبها في ديوان الشعر العربي منذ أقدم عصوره .

المبحث الثاني : الحنين والغربة في شعر المهجر الشمالي :-

شعر المهجر بالنسبة لهذه التجربة هو تلك الثروة الهائلة التي تركها المهجريون في ذلك الموضوع العاطفي، ثم نزعتهم الصوفية التي أسبغت على شعرهم في الحنين إلى أوطانهم صبغة التقديس، فهم يحنون إلى أوطانهم حنيناً دافقاً، ويشعرون بقسوة الاغتراب شعوراً عميقاً، وتصطخب نفوسهم بشوق جارف ولهفة عارمة إلى تلك البلاد العزيزة التي تركوها مرغمين، فتربتها في وجدانهم أقدس تربة وجبالها أعز جبال وسماؤها أرفع سماء، وأرضها أمنح أرض وكل ما فيها يتسامى في خواطرهم إلى مرتبة من الاعزاز والحب لا يتطاول إليها شيء مهما كان [١٩] .

لقد هاجر هؤلاء الشعراء عن وطنهم، والألم يملأ نفوسهم، والآمال تعمر قلوبهم، وأتوا بلاداً جديدة لا تمت بصلة الى بلادهم، وعرفوا تقاليد مجتمع جديد لم يألفوها في ديارهم، وقاسى أكثرهم

الجوع والحرمان والتشرد. لذلك سرعان ما أحس هؤلاء الشعراء بأنهم غرباء حقاً في هذه البلاد الجديدة، فانطلقوا يتشوقون إلى ديارهم ويحنون، ويطيرون بخيالهم إليها كلما رأوا شيئاً يذكرهم بها، أوأتاهم عنها نبأ فرح أو حزن.

فهذا الشاعر نعمة الحاج يشتد تحنانه إلى ربوع أهله ووطنه، ويذوب شوقاً إليها، أسمعه يقول:

تَـذَكَّرْتُ أَهْلِـي فِـي اَلنَّـوَى وَبْلَادْيَـا ** وَقَـدْ طَـالَ شَـوْقِي لِلْحُمَّـى وبَعَادِيـا
تَـذَكَّرَتْ هَـاتِيكَ اَلرُّبُوعِ وَأَهْلَهَـا ** وِيَاحَبَـذَا تِلْـكَ اَلرُّبُـوعِ اَلزُّوَاهِيـا
تُطِيرُ لَهَا نَفْسِي مِنْ الْوَجْدِ وَالْجَـوَى . ** وَيَمَـسُّ لَهُـإِ دَمْعِـي عَلَـى الْخَـدِّ جَارِيَـا
وَتَهْتَـزُّ مِـنْ شَـوْقِي اَلَيْهَـا جَـوَارِحِي ** كَمَـا اهْتَزَّ غُـصْنٍ مَـالِ لِلرَّيْحَ جَانِيًا
فَـلَا الشَّـوْقِ يُـدَنِّينِي وَلا الْفِكْـرِ نَائِبًـا ** وَلَا الـدَّمْعِ يجـديني وَلَا الْقَلْـبُ سَالِبًـا
وَبِـي مابهـا لَـوْ أَنْصَـفَ الـدَّهْرِ لَـمْ يَكُـنْ ** بِهَـا مِـنْ وَرَاءِ لِلشَّـقَاءِ وَلَا بِيَـا
تَغَرَّبْـتُ عَنْهُـأَ وَالْبَوَاعِـثِ جَمَّـةٌ ** وَأَعْظَمُهَـا مَـا كَـانَ لِلـنَّفْسِ رَامِيًـا [٢٠]

وعندما يلتقي الشاعر أيليا أبو ماضي بفتاة تتوجه إليه بسؤالها الذي ينم عن موازنة بين حب الشاعر لوطنه أو حبه لبلدها يصرح بأن وطنه هو أحب بقاع الدنيا اليه وألصقها بنفسه،فناسه أكرم الناس طراً، وشهبه أسطع الشهب،وغيثه أحب الغيث وأكرمه،وهذه أبيات من قصيدة له بعنوان (تأملات): [٢١].

وَمَلِيحَـةٌ فِـي وَجْهِهَـا إِلَـى الضُّـحَى ** وَالسِّـحْرُ وَالصَّـهْبَاءِ فِـي أَقْوَالِـهَ
قَالَـتْ: أَينسـى النَّـازِحُونَ بِـلَادِهِ ** ماهـاج حُـزْنَ الْقَلْـبِ غَيْـرُ سُـؤَالِهَا
اَلْأَرْض ، سُورْيَا أَحَبَّ رُبُوعَـهَا ** عِنْـدِي ، وَلُبْنَـانُ أَعَزُّ جِبَالِهَـا
وَالنَّـاسُ أَكْرَمَهُمْ عَلِي عَشِيرَهَـا ** رُوحِيٌّ اَلْفِـدَاءِ لِرَهْطِهَـا وَلِآلِهَـا
وَالشُّـهُبُ أَسْـطَعِهَا اَلَّتِـي فِـي أُفُقِهَـا ** لَـيْسَ اَلْجَـلَالُ اَلْحَـقُّ غَيْـرُ جَلَالِهَـا
وَأُحِـبُّ غَيْـثْ مَـاهِمِي فِـي أَرْضِـهَا ** حَتَّـى اَلْحَيَـاءِ اَلْبَـاكِي عَلَـى أَطْلَالِهَـا
مَـرِحٌ اَلصِّـبَا اَلْجَـذْلَانِ فِـي اَسَـحَارْهَا ** وَمِنَـى اَلصِّـبَا اَلْوَلْهَـانَ فِـي آصَـالْهَا
أَنِّـي لِأَرِفّ رِيحَهَـا مِـنْ غَيْرِهَـا ** بَنُـوَافَحْ اَلْاَشَـذَاءْ فِـي أَذْيَالِهَـا

يعيش الشاعر بخياله مع مناظر لبنان الجميلة فيتذكر غاباتها ومافيها من غزلان تركض، وأسود تزأر، كما يتذكر الليالي القمراء في الجبال وسماعه خرير الماء وسط سكون الليل الذي لا يتخلله سوى شدوالطيور:

تِلْــكَ اَلْمَنَــازِلِ كَــمْ خَطَــرَتْ بَسَــاحَهَا ** فِي ظِـلِّ ضِيغَمَهَا وَعَطْف غَزَالِهَــا
وَشْــدُوتْ مَــعَ أَطْيَارُهَــا ، وَسَــهِرَتْ مَــعَ ** أَقْمَارُهــــا ، وَرَقَصـــــتْ مَـــعَ شـــلَّالِهَا
وَسَـــجَدَتْ لِلْإِلْهَـــامِ مَـــعَ صَفْصَـــافَهَا ** وَضَـــحِكَتْ لِلْأَحْـــلَامِ مَـــعَ وَزَالَهَـــا [٢٢]

وفي نهاية القصيدة يتمنى أن يرى لبنان وتكتحل عيناه، برمالها قبل أن ينتقل الى جوار ربه:

تَشْــتَاقَ عَيْنِــي قَبِــلَ يُغْمِضَــهَا اَلــرَّدَى ** لَـــوْ أَنَّهَـــا اِكْتَحَلَـــتْ وَلَـــوْ بِرِمَالِهَـــا
مَـــرَّتْ بِـــي اَلْأَعْـــوَامُ تَقْفُـــو بَعْضَـــهَا ** وَشَـــبَّ اَلْقَطَـــا تَعْـــدُو إِلَـــى آجَالِهَـــا
وَتَعَاقَبَـــتْ صُـــوَرُ اَلْجَمَـــالِ فَلَـــمْ يَـــدُمْ ** فِـــي خَـــاطِرِي مِنْهَـــا سِـــوَى تِمْثَالِهَـــا [٢٣]

وكان جبران خليل جبران يحلم دائماً بالعودة إلى بلده الحبيب لبنان ليقضي ما تبقى من حياته في صومعة في دير"مارسركيس" حيث الهدوء والحياة الهانئة السعيدة بعيداً عن المدينة والضجيج والدخان أسمعه يخاطب ميخائيل نعيمة قائلاً: " ميشا، ميشا: نجاني الله وإياك من المدينة والمتمدنين، ومن أمريكا والامريكيين، ونحن سننجو بأذن الله، وسنعود الى قمم لبنان الطاهرة وأوديته الهادئة، وسناكل من عنبه وبقوله، ونشرب من خمره وزيته، وسننام على بيادره، ونسرح مع قطعانه، ونسهر على شبابات رعاته وخرير غدرانه... لابد ياميشا، لابد لي ولك من الرحيل عن هذه البلاد .. فالويل لمن كان مجهولاً فيها لأنه ليس أثمن من خرقة، والويل لمن نال فيها ولو بعض الشهرة لأنه يصبح مثل ممسحة، أنا اليوم ممسحة ياميشا ونفسي تطالبني بعزتها وفكري يطالبني بحريته وجسمي يطالبني براحته، ولن أستعيد عزة نفسي وحرية فكري وراحة جسمي الا في لبنان. لو كنت تعرف الصومعة التي اخترتها لي ولك هناك لكنت تجذبني من يدي فيهذه الدقيقة، وتقول: هيا بنا اليها ... إذا كنت قد مللت هذا العالم – عالم الماكينات والخيالات فأنا قد مللته أكثر منك" [٢٤] .

ولعل من أجمل الصور والرسوم الفنية في هذا الموضوع مقابلة ميخائيل نعيمة بين حياة الصخب والضجيج في نيويورك ووصفه لها بالتنين وبين حياة قريته الهانئة الوادعة على سفح صنين: "من هؤلاء الناس؟ ومن أين أتوا لماذا أتوا وماذا يعملون في جهنم الارض؟ أطرح عليهم هذه الاسئلة بعيني فتجيبني وجوههم المجبولة من تربة كل ارض بكل السنة الارض: ومن أنت؟ من أين اتيت

ولماذا أتيت وماذا تعمل في جهنم الارض؟ فأصمت حائراً وأعود أقلب نظري في جماهيرهم المتألقة الشمس في السماء، ولكن من في الحديقة لا يشعرون بها، ولا يرونها لأنها مقنعة بقناع أغبر كثيف ليس ضباباً ولا سحاباً. أن هو الا انفاس التنين المتصاعدة من الوف المداخن وملايين النوافذ وجبال متراكمة من الحديد والحجروالقيروالاسفلت، وقوافل لا يدرك أولها من آخرها من العجلات المسيرة بالغاز والمسيرة بالبخار والمسيرة بالكهرباء تتصاعد هذه في الهواء فينوء تحتها الهواء ترفعها الأرض بكل قواها إلى فوق فتشمئز منها السماء وتضغط بها إلى أسفل فتظل عالقة بين الأرض والسماء، خاطفة من الشمس حرارتها، خانقة من النسيج أنفاسه ضاغطة بصفائح من حديد محمية في نار جهنم على صدر التنين المتمدد بين نهرين الفاغر فاه ليشرب البحر ويبتلع البر دون أن يرتوي يوماً أو يشبع.. [٢٥] " هذه صورة نيويورك بكل أشكالها المقززة ومناظرها السيئة وتعال معي لنشاهد الصورة التي أعطاها ميخائيل عن لبنان ومشاعره تجاهها :" عن يسارى شاب سقاه صنين العافية والعزم والامل، هو مكب على بقعة من سنابل القمح يقطعها بقطعها بمنجله قبضة قبضة، أراه ينتصب ثم ينحني، أسمع رنات منجله تندمج بنبرات صوت الفتى المتموج ثم آراه يجمع ما يقطعه من السنابل كوما كوما حاملاً منجله على ذراعه وماسحاً عرق جبينه بيديه... صنين يتنفس ويحلم أحلامه، والحاصد عن يساري يقطع سنابله ويحلم احلامه والبقرة عن يميني تجتر وتحلم احلامها. والعصافير في البلوطة تسدى الخالق شكرانها والمكاري في الوادي يرفع الى الله صلاة حبه. النهار تقلص والاطلال تستطيل وعلى الشجرة الدهرية البيضاء صبي [٢٦] يحلم بجنات مدنية غريبة قصية" [٢٧].

إن القارئ المتأمل في النصين يجد أن ميخائيل نعيمة كاره كل الكره لحياة التنين في نيويورك، ومحب كل الحب لحياة صنين في لبنان.

وها هو الشاعر رشيد أيوب في قصيدته (لبنان) يخفق قلبه حباً وشوقاً وحنيناً الى وطنه (لبنان)، أسمعه يقول:

ذَكَرَتْكَ يَالَبْنَانْ وَالْقَلْبُ خَافِقٌ ** لِذِكْرَاكَ حَتَّى كَادَ يُفْلِتُ كَالطَّيْرِ
وَلَيْسَ سَلَّوْا مَا تَرَاهُ مِنْ اَلنَّوَى ** وَلَكِنَّهَا اَلدُّنْيَا نَهَتْنِي عَنْ اَلسَّيْرِ

عَلَـــى أَنَّ عِنْـــدِي فِـــي اَلْفُـــؤَادِ مَحَبَّـــةً ** إِذَا مُـــتُ يَالَبْنَـــانْ أَوْرَثْتُهَـــا غَيْـــرِي (٢٨)

ويقول أيضاً :

يَانُوىْ
إِنَّ كَـــانَ قَلْبِـــي بِـــالْغَرَامِ اِكْتَـــوَى
وَالنَّوَى
وَالْتَوَى طَهُرَتْ وَرِثَتْ فِي اَلْمَشِيبِ اَلْقُوَى
مَا اِنْطَوَى
بِسَـــــاطُ آمَـــــالِي وَرَبِّ اَلْهَـــــوَى
فَاعْرِفِي
لَا شَيْءَ عَنْ لُبْنَـــانَ مُسْتُوقَفِـــي
فَهُوَ فِي
وَغَيْرِهِ فِي اَلْأَرْضِ لَمْ أَصْطَفْ (٢٩)

ويحتل جبل صنين مكانة مرموقة في شعر شريد أيوب ومنزلة رفيعة في اشواقه وكيف لا وهو الجبل الذي درج على سفحه طفلاً في قريته الوداعة "بسكنتا" . أنه ليذكره ويحن اليه ويتنسم نسماته الرقيقة التي مازال يذكر عبيرها، فيقول:

فِـــي يَائِيتَـــهْ اَلَّتِـــي يُعَـــارِضُ فِيهَـــا يَائِيَّـــةٌ ** مَالِكْ بْنْ اَلرَّيْبْ فِي اَلشَّكْوَى وَالنُّـــوَاحِ (٣٠)
أَحُـــثّ مَطَايَـــا اَلْفِكْـــرِ نَحْـــوَ دِيَـــارِهِمْ ** غَـــدَاةَ سَـــطَا دَهْـــرِيٌّ فَفِـــي جَنَاحْيَـــا
وَأَذْكُـــرُ أَوْطَـــانِي وَلِلْعَـــيْنِ أَدْمَـــعَ ** وَفِـــي اَلْقَلْـــبِ نَـــارٍ أَنَّ تَـــذَكَّرَتْ آلِيَّـــا
أَلَّا لَيْـــتَ شِـــعْرِي هَـــلْ غَـــدِيرٌ أُحِبُّـــهُ ** تَعَلَّمْـــتُ مِنْـــهُ اَلنُّـــوحْ مَـــا زَالَ جَارِيًـــا
وَهَـــلْ ذَلِـــكَ اَلْـــوَادِي اَلَّـــذِي بِشَـــمَالِهِ ** تِرْعَـــرَتْ حُـــرًّا يُـــذْكَرُ اَلْيَـــوْمَ نَائِيًـــا
وَهَـــلْ نَسَـــمَات عِنْـــد صِـــنِينْ لَـــمْ تَـــزَلْ ** مُهَيْمِنَـــــةً تَـــــدْرِي بِحَـــــالِي وَمَابْيَـــا
وَيَـــا نَبْعُـــهُ هَـــلَّا لِقَلْبِـــي جُرْعَـــةً ** مِـــنْ اَلْمَـــاءِ أَحَسُّـــوهَا فَتُحْيِـــي فُؤَادِيًّـــا
فَلِلَّهِ عَيْشِـــي فِيـــهِ كَـــمٌّ كَـــانَ مُخَصَّـــبًا ** وَلِلَّهِ عَيْشِـــي فِيـــهِ كَـــمٌّ كَـــانَ حَالِيًّـــا (٣١)

ويذوب الشاعر رشيد ايوب حسرة وألماً على جبل صنين في قصيدته " ذكرى لبنان" قائلاً :

أَذْرِفِـــــــــــــــــــــــــــــــــي ** يَـاعِينْ دَمْـعِي فَـالْهَـوَى مُتْلِفِـي
وَاسْـــــــــــــــــــــــــــــــــمَعِي ** لَعَـــلَّ نَـــارًا فِـــي اَلْحَشَـــا تَتْطَفِـــي
لَا يلَامُ يُـــــــــــلَامُ ** مِـنْ يَحْفَظُ اَلْعَهْـدُ وَيَرْعَى اَلذِّمَّـامْ
فَالـــــــــوَفِـــيّ ** مِـــنْ يَبْـــذُلُ اَلـــنَّفْسَ وَلَـــمْ يَكْتَـــفِ
هَـــلْ يَـعُـــودُ ** عَـــيْشٌ قَطَعْنَـــا ، بِتِلْـــكَ اَلصُّـــرُودْ
كيّ نِـــــ،ـــرُودْ ** فِي سَـفْحِ صِنِينْ مَقَـرَّ اَلْجُـدُودِ
فَأُنْصِـــــــــــــــــــــــــفِي ** أَيَّتُهَـــا اَلـــدُّنْيَا غَرِيبًـــا وَفِـــي
وَأَعْطِفِـــــــــــــــــــــــــي ** عَلَـــى فَتًـــى فِـــي اَلْحُـــبِّ مُسْـــتَهْدَفِ (٣٢)

وهذا شاعرنا نسيب عريضة يرقب سلة الفواكه معلقة في حانوت بقال ملأى بالعنب والرمان والتين في سوق نيويورك فيثيرهذا المنظر لديه ذكريات حدائق حمى وكرومها اليانعة فيطير قلبه نحو وطنه:

وَقَفَـتْ رَغْمًـا وَحَـوْلِيّ اَلنَّـاسِ مَـا وَقَفْـتُ
أُرَاقِـبُ اَلسُّـلُّ ، وَالْأَثْمَـارُ قَـدْ بِسَـمْتٍ
كَأَنَّهَـــا إِذْ رَأَتْنِـــي ذَاهِـــلاً عَرَفَـــتْ
أَنِّـــي غَرِيـــبٌ ، فَحِيتَنِـــي وَمَـــا نَطَقَـــتْ
فَطَـارَ قَلْـبِي حُنَيْنـًا نَـحْـوَ أَوْطَانِـي (٣٣)

وذات الحجار السود قصيدة من رائع شعر الحنين. ويريد بها نسيب عريضة مدينة حمص التي يحبها ولا ينساها، ففؤاد سيرهواها، يهفو اليها أبداً فإذا سأل عن الديار التي يذوب قلبه الموثق بالقيود من شوقه اليها، أجابته نفسه:

إِنَّهَا عَرُوسُ اَلْعَاصِي ، مَهَّدَ اَلْجُودُ وَالنَّعِيمُ وَاَلَّتِي شَهِدَتْ أَمَانِيَهُ (٣٤)
وَقْـفِ اَلْفُؤَادِ أَسِير بَارِقٍ نَارَهَا
يَهـفُو إِلَى مَا لَاحَ مِنْ أَسْرَارِهَا
لَمِـنْ اَلدِّيَارِ تَذُوبُ مِنْ تِذْكَارِهَا

مِنْ بَعْدُ طُولِ نَوَى وَفَرْطِ جُحُودِ
امُــوثْقَا مِنْ شَوْقِهِ بِقيُودٍ؟
رَفَـعَتْ لِطَرَفِكَ مِنْ مَكَانٍ قَاصّ
أَعْرَفُتْ يَاقُلُبِي عَرُوسِ اَلْعَاصِي؟
مُحِبّي أَمَــانِينَا وَمَحْيَا اَلْجُودِ
وَنَعِيــمْ رَاضٍ بِالْوُجُودِ سَعِيدٍ (٣٥)

أن قلب الشاعر" يستمر في خفقانه وتعتريه رعدة لذلك الطيف الذي ألم به، حتى اذا تبينه تمثلت لـه مدينـة حمص التـي جاءتـه تختـال بـين حـدائقها وسـاحاتها ولا غـرو فهـي عـروس نهـر العاصي، ولكنه في تلك النشوة الحالمة يكاد يغيب عن وعيه وينسى نفسه فينتفض انتفاضة يسائل بعدها قلبه "(٣٦) .

أَعَـرَفَتَهَا : تِلْكَ اَلرُّبُوعِ اَلْعَالِيَـةِ
مَابِيـنْ لُبْنَـانُ وَبَيْـنَ اَلْبَادِيـَةِ؟
اَلـذِّكْرَيَاتُ ، وَقَدْ بَرَزْنَ عَلَائِيَّـة
نَادَيْنَ عَنْكَ بِحَسْـرَةِ اَلْمَطْـرُودِ
يَاحَمَصْ ، يَا بَلَدِيٌّ وَأَرْضِ جُـدُودِي
جَثَمَـتْ بَكْلَكْلَهَا عَلَى دَرْبِ اَلْأُمَـمِ
جَبّــارَةً مِنْ طَبْعِهَا رَعْيَ اَلذِّمَـمِ
بَلَدَ اَلْهُدَى ، أَحْجَارُهَا سُودٌ ، نَعَـمْ
لِلَّهِ دَرَّ سَــوَادِكَ اَلْمَعْبــُودِ
يَاحَمَـصْ ، يَـا أُمّ اَلْحَجَـارَالسُـودْ (٣٧)

ويستعرض الشاعر تاريخ هذه المدينـة العظيمـة، وكيف أنهـا احتضـنت لنـا رجـالاً عرفوا بشجاعتهم وبطولتهم من أمثال خالد بن الوليد، ورجالاً عرفوا بأدبهم وشعرهم من أمثال ديك الجن الحمصي الشاعرالعباسي، وكذلك الشيخ امين الجندي صاحب الموشحات والاغاني التي عرف بها في حمص:

حِمْـص اَلْعَـدِيَّة ، كُلّـنَا بِهَوَاكَ
يَاكَعْبَـة اَلْأَبْطَـالِ ، أَنَّ ثَـرَاكَ
غِمْـد لِسَـيْفِ اَللَّهِ فِي مَثْـوَاكَ
وَلَكـمْ لَـنَا مِـنْ خَشَـعَة وَسُـجُودٍ
فِـي هَيْـكَلِ اَلنَّجْوَى ، وَمِـنْ تَمْجِيدِ

ويعصف به الشوق ويعذبه البعاد فيناجي مسقط رأسه (حمص)بسورية باكيا:

يَـا جَـارَةُ اَلْعَاصِي ، لَدَيْـكَ اَلسُّـؤْدُدُ
لُبْنَـانُ دُونَـكْ سَـاجْدْ مُتَـــعَهِّدُ
هُـوعَـاشْـقْ مِنْ دَمْـعَةٍ لَكَ مَوْرِدٌ
وَارْحَمْـنَا لِمُقِـيمِ وُصْـــــفُودْ
يَسْـقِي اَلْهَـوَى مِــنْ قَلْبِهِ اَلْجَلْمُودْ
يَـادَهْرْ قَـدْ طَالَ اَلْبِعَادُ عَـنْ اَلْوَطَنِ
هَـلْ عَـوْدَةٌ تَـرَجَّى وَقَدْ فَاتَ اَلطَّعْنُ
عَـدَّ بِـي إِلَـى حِمْصِ وَلَوْ حَشْوَ اَلْكَفَنِ
وَأَهْـتِفُ : أَتَيْـتُ بِعَـــاثِرِ مَرْدُود
وَاجْعَـلْ ضَرِيحَيْ مِـنْ حَجَارْسُودْ (٣٨)

وتهيج هبوب الرياح المشرقية الذكرى للوطن في نفس شاعرنا نسيب عريضة فهوا وان طال المقام به في المهجر لم ينس أهله وأخوانه ولم ينس العهود والمواثيق:

تَـــدَفُّقِي يَارْيَـــاحْ اَلشَّـــرْقُ هَائِجَـــةً ** فَأَنْـــتَ لَا شَـــكَّ مِـــنْ أَهْلِـــيّ وَإِخْـــوَانِي
وَذَكِّرِينِـــي بِمَـــا نَسِـــيتُ مِـــنْ أَمَـــلٍ ** وُجَنْحِينِـــي أُرَفْـــرِفَ فَـــوْقَ أَوْطَـــانِي
مَـوْتَ ثَلَاثُونَ لَـمّ أَنَسْ اَلْعُهُودَ وَهَـلْ ** تَنْسَـــى مَوَاثِيـــقَ أَرْحَـــامٍ وَإِيمَـــانِ ؟
اَلْأَهْلُ أَهْلِـيٌّ ، وَأَطْلَالَ اَلْحُمَّى وَطَنِـيٌّ ** وِسَـــاكْنُوا اَلرُّبْـــعَ أَتْرَابِـــي وَأَقْرَانِـــي
قَدْ كُـنْتُ أَشْتَاقَهَمْ وَالْعَيـْنُ تَنـْظُرهُمْ ** وَأَعْظَـــمُ شَـــوْقٍ عَلَـــى بُعْـــدٍ وَهِجْـــرَانِ (٣٩)

ومن أبدع قائد رشيد أيوب التي يصورفيها الحياة والطبيعة في لبنان تصويراً طبيعياً صادقاً قصيدته التي بعنوان "ياثلج" ففي هذه القصيدة يتذكر سقوط الثلج على جبالى لبنان في فصل الشتاء وما يثيره في نفسه من خواطر وأفكار فهو يذكره يذكره بالوادي الذي يجري في ذلك الغدير الرقراق الذي طالما تمتع بسماع صوت مياهه وهو جالس على ضفته وكأنه في جنة الخلد:

يَـــــاثَلْجُ قَـــــدْ هَيَّجَـــــتْ أَشْـــــجَانِي ** ذَكَّرَتْنِـــــــــي أَهْلِـــــــيٌّ بِلُبْنَـــــــان
بِاَللَّهِ عَنِّـــي قَـــلَّ لِإِخْـــوَانِـــتِيّ ** مَـــــا زَالَ يَرْعَـــــى حُرْمَـــــةَ اَلْعَهْـــــدِ
يَـــــاثَلْجُ قَـــــدْ ذَكَّرَتْنِـــــي اَلْـــــوَادِيَ ** فُتْنَسْـــــــتَا لَغرِّيـــــــرَهْ اَلشَّـــــــادِي
كُـــمٌّ قَدْ جَلَسَتْ بِحِضْنِهِ اَلْهَـادِي ** فَكَـــــأَنَّنِي فِـــــي جَنَّـــــةِ اَلْخُلْـــــدِ (٤٠)

كما يذكره أمهُ وهي تسهر في الليل في حفظه ورعايته من شدة البرد مخافة أن يصاب بأذى،وكذلك يذكره الموقد حينما كانوا يجتمعون حوله ليبعث الدفء والحرارة في قلوبهم:

يَـاثَلَجْ قَـتدْ ذَكّـرَتْنـي أُمّـي ** أَيَّـــامٌ تَقْضِـــي اَللَّيْـــلَ فِـــي هَمِّـــي
مَشْـــغُوفَةً وَتَحَـــارُ فِـــي ضَـــمِّي ** تَحْنُـو عَلِـي مَخَـافَـةَ اَلْبَـرْدِ
يَـــاثَلَجْ قَـــدْ ذَكَّرَتْنِـــي اَلْمَوْقِـــدَ ** أَيَّـــامٌ كُنَّـــا حَوْلَـــهُ نَنْشُـــدُ
عْنُـــو لَدَيْـــهِ كَأَنَّـــهُ اَلْمَسْـــجِدُ ** وَكَأَنَّنَـــا اَلنُّسَّـــاكَ فِـــي اَلزُّهْـــدِ (٤١)

ويحن نعمة الحاج ويشتاق الى موطنه ويتذكر أياماً كان بوده رجوعها، ويلج به الحنين فلا يكتفي بالرؤى ولا تشفيه الدموع، فقد طال تمنيه ولاعودة (٤٢) . يقول:

أَحِـنُّ إِلَـى قَـوْمِيّ ، وَأَشْتَـاقُ مَوْطِنِي
وَأَصْـبُوَا إِلَى جَنَّـاتْ تِـلْكَ اَلْمَـرَابِعِ
وَأَذْكُـــرُ أَيَّامًـــا أَوَدُّ رُجُـــوعُـهَا
وَهَيْهَـــاتَ مَـا قَـدْ فَاتَ لَيْسَ بِرَاجِعِ
فُبَـاعِيـنْ لَا يَكْفِـي سِنًّا اَلطَّيْفَ فِي اَلْكَرِىْ
وِيَـاقَلْـبْ لَا يُشْفَى مُسِيل اَلْمَدَامِعِ

تَمَـنَّيْتُ تَـرْجُو مِـنْ تَمَـنَّيْتُ نَافِـعًا

وَطَـالَ فَمَـا كَـانَ اَلتَّمَنِّـي بِنَافِعِ [٤٣]

ويكثر رشيد أيوب في أشعاره من ذكر الغدران والينابيع الجارية في وطنه"لبنان" وأنه ليرقبه في الافلاك حين يجن الظلام،وفي الاضواء حين تطلع شمس النهار ،وماتزال توسوس له به نفسه: [٤٤]

إِلَّا تَـذْكُرِيـنَ بِشَـطِّ اَلْغَـدِيـرِ ** عَلَـى صَـخْرَةٍ قَـدْ جَلَسْـنَا هُنَـاكَ

وَلَمَّـا اِنْحَـنَيْتُ لِصَـوْتِ اَلْخَـرِيرِ ** لَمْحَتُـكَ فِـي اَلْمَـاءِ مِثْـلِ اَلْمَـلَاكِ

حِينَ لَحَّتْ [٤٥]

وفي قصيدته" ذلك الزمان"يلقي ضوءاً على أيامه بالحمى وكيف كان يقضيها في صغره، بين اللهو في النهار والسمر في الليل،ويتخبل أسراب الصبايا يسرن معهم في جولة سعيدة بين الجبال تحت ضوء القمر" [٤٦] يقول :

أَهَـا عَلَـى زَمَـانٍ ** إِذْ كُـنْتُ فِـي اَلصِّغَـرِ

لِلَهْـوِ فِـي نَـهَـارِيِّ ** فِـي اَللَّيْـلِ لِلسَّـمَرِ

وَكُنْـتَ مَـعَ رِفَـاقِي ** لَا نَعْـرِفُ اَلْحَـذَرُ

نَـمْشِـي مَـعَ اَلصَّبَايـتَا ** دَلِيـلُـنَا اَلْقَمَـرُ

وَلِلصِّـبَا حَـدِيثٌ ** نَقْضِـيهُ بِالسَّـهَرِ

بِـاَللَّهِ خَبِّـرِينِـي ** يَـا نَجْمَـةُ اَلسِّـحْرِ [٤٧]

ويذوب نعمة الحاج شوقاً وحنيناً الى لبنان،ويقسم بالله أنه لم ينس وطنه أسمعه يقول:

مَـا نَسِـينَا وَيَشْـهَدُ اَللَّهُ أَنَـا ** نَحْـنُ بِـالرُّوحِ فِـي اَلْحُمَّـى حَيْـثُ كُنَّـا

أَنَّ بُعْـدَنَا وَأَنَّ قُرْبَنَـا فَلَبَنَـا ** ن سَـنَاهُ يَشِـعُّ فِينَـا وَمِنَّـا

إِيـهْ لُبْنَـانَ مَـا نَسِيْنَـاكُ نَحْمِي ** ك وَنَحْمِـي اَلْحُمَّـى بِحَيْـثُ كُنَّـا [٤٨]

وبين الشاعر مسعود سماحة نفسه بلقاء الوطن لعله يخلد الى النوم والراحة بعد أن عذبه الوجد واضناه الهيام، ويقسم بالله ان قلبه خال من حب زينب وسعاد،وأن لبنان حل حبة قلبه قبل فراقه والبعد عنه:

عَلَّـــلَ اَلـــنَّفْسَ بِاللِّقَـــاءِ يَـــافُؤَادِي ** فَلِعَلِـــــي أَذُوق طَعْـــــمُ اَلرُّقَـــــادْ
أَبْعَـــدَ اَلْوَجْـــدُ لَـــذَّةَ اَلنَّـــوْمِ عَنِّـــي ** بِلَهِيـــبِ اَلنَّـــوَى وَأَدْنَـــى سُـــهَادِي
يَشْـــــهَدُ اَللَّهُ أَنَّ قَلْبِـــــي خَـــــالٍ ** قَبِـــلَ نَـــأْيِيَ عَنْـــهُ وَبَعْـــدَ بِعَـــادِي
لَا تَلُمْـــنِي فَقَـــدْ سَرَى فِي عُرُوقِـــي ** حُـــبٌّ قَـــوْمِيٌّ وَرَايَتِـــي وَبِـــلَادِي (٤٩)

ويعلل سبب حبه هذا بأنه نشأ وترعرع في ربى الدير وأروى جسمه بماء الشالوط،وتغلب على الداء الذي أصابه في شبابه، وكان يعيش في سعادة ما بعدها من سعادة:

فِـي رَبَّـى " اَلـدَّيْرُ " قَـدْ حَبَـوْتُ رَضِـيعًا ** وَتَرَعْرَعَـــتْ فِـــي حِمَاهَـــا غُلَامًـــا
وَبِمَـــاءِ اَلشَّـــالُوطْ أَرْوِيـــتْ جِسْـــمًا ** قِهْرَالْطَّـــبْ وَالـــدَّوَاءُ وَالسَّـــقَامَا
يَوْمِ كَـانَ اَلشَّـبَابُ غَضّـًا وَكَانَتْ ** نَبَضَـــاتُ اَلْفُـــؤَادِ تَـــدْعُو اَلْغَرَامَـــا
يَـوْمٌ كَانَـتتْ آمَـالٌ قَلْـبِيّ وُرُودِ ** نَظَـرَاتٌ لَا تَعْـرِفُ إِلَّا لَامًـا
يَـــوْم كَـــانَ اَلزَّمَـــانُ عِنْـــدِي رَبِيعًـــا ** رَحَـــلَ اَلْغَـــيْمُ اَلْفَضَـــاءَ أَمْ أَقَامَـــا
يَـوْمٌ كَانَـتْ صِـبَا اَلصِّـبَا فِـي فُـؤَادِي ** زَهَـــرَاتٌ لَا أَنَصَـــلَا وَسِـــهَامًا (٥٠)

وفي قصيدة أخرى يبعث بتحياته وأشواقه الى مدينته "دير القمر" والى القاع والصفا–وهما غديران في عين زحلتا لبنان– فهي جنة الله في أرضه،وأن دخان المواقد فيها أفضل وأجمل في عينيه من الكهرباء في دار الغربة، وأن أناشيد الرعاة فيها أشجى لنفسه من المذياع:

سَـــلَامٌ عَلَـــى اَلـــدَّيْرِ فِـــي قَلْبِهَـــا ** تَتِيـــــهَ اِفْتِخَـــــارًا بِفِتْيَانِهَـــــا
سَـلَامٌ عَلَى قَـاعِهَا وَالصَّـفَا ** سَـــــلَامٌ عَلَـــــى أُرْزِ لُبْنَانِهَـــــا
يَمِيـــنًا بِمَـــنْ شَـــاءَهَا جَنّـــةً ** تَمْشِـــــي اَلْجَمَـــــالَ بِأَفْنَانِهَـــــا
لَـــوْ أَنَّ اَلْجَنَـــانَ بِـــدَارِ اَلْفَنَـــاءِ ** لَكَانَـــــتْ تَتِيـــــه بِرِضْـــــوَانِهَا
فَـــأَزْهَى لِعَيْنِـــي مِـــنْ اَلْكَهْرَبَـــاءِ ** دُخَّـــانُ مَـوَاقِـدِ نِيرَانِـــهَا

وَأَشْـجَى لِنَفْسِـي مِـنْ اَلرَّادْيُـو ** رَخِـــيم أَنَاشِـــيدَ رَعِيَانَهَـــا
وَقَفَـــتْ فُـــؤَادِي عَلَـــى حُبِّهَـــا ** وَمَـــاءُ شُـــؤُونِي عَلَـــى شَـــأْنِهَا (٥١)

وقال أيضاً:

سَـلَامٌ عَلَـى لُبْنَـانَ مَالَاحْ بَارِق
وَمَـا مَالُ غُصْنٍ فِي اَلرُّبَـى أَوْ تُؤَدُّوا
سَلَامٌ عَلَى اَلْعَاصِي . سَلَامٌ عَلَى اَلصَّفـا
سَـلَام عَلَـى اَلْأُرْدُنِّ مَا اِسْتَقـبْلَ اَلنَّدَى
سَـلَام عَلَى اَلْفَيْحَـاءَ اَلَّتِي اِطَّلَعَتْ لَنَا
بُدُورًا سُمُّـوا عِلْمًا وَمُجِدًّا وَمُحْتَدًّا (٥٢)

وقال في صدر رسالة بعث بها الى أحد أصدقائه:

لِي نَفْسٌ فِـــي أَرْبَعِ اَلدَّيْرِ حَـلَّتْ
وَسَـتَبْقَى عَلَـى مَمَـرِّ اَلدُّهُـورِ
مَـاذَكَـرْتْ اَلشَّـالُوطْ إِلَّا وَسَـالَتْ
أَدْمُعِـي مِثْـلْ مِائَـةِ اَلْمَشْهُورُ (٥٣)

وهذا مقطع من نشيد له في لبنان بعنوان " أنت لبنان"

يَـــــــابْلَادِي يَـــــــابْلَادِي ** لَأَعَـــــدَّتْ فِيـــــكَ اَلْعَـــــدَاهْ
أَنَّ مَوْتَـى فِـي دِفَـاعِـيّ ** عَنْـــــكَ عَـــــذْبٌ كَالْحَيَـــــاةِ
فَـلِتَـعُـشْ لُبْنَـــان ** فَلِـــــيَعُشْ لُبْنَـــــان
مَـوْطِـنَ اَلْأَحْـــرَارِ ** مَـــــوْطِنُ اَلشُّـــــجْعَانِ (٥٤)

ويقول رشيد أيوب وقد برح به الم النأي عن الوطن وأحبابه فيه:

ذَكَـــرُوهُ بِـــالْحُمَّى فَارْتَعَشَـــا ** وَهُـوَ كَـالْمَـــجْنُونِ
مُقَـرَّمْ فِـي اَلْحُـبِّ قُـدُمًا قَـدْ نَشَـأَ ** قَلْبُـــــهُ اَلْمَحْـــــزُونُ

لَا تَلُومُـــوهُ فَـــذًّا صَـــب سَـــقِيمِ ** نَـــــــازِحٌ مِسْـــــــكِينٌ
لَـــيْسَ يُحْيِيـــهُ سِـــوَى ذَاكَ اَلنَّسِـــيمِ ** فِـــــي حُمَّـــــى صِـــــنِينْ
يَتَغَنَّـــى عُمْـــرُهُ كَيْـــفَ مَشَـــى ** بِرَبِّـــــــي لُبْنَـــــــانَ (٥٥)

ويشتاق الى "خيمة الناطور"ولا يرى اجمل منها، ولا أروع ولا أبدع من منضرها، ولا سيما في الليل حين يسود الجبال السكون والهدوء،وحينما يذكر خيمة الناطور أنما يرمزبها الى لبنان الذي يود العودة اليه. فهو يقول:

لِظَـــلَام اَللَّيْـــلِ فَضَّـــلَ فِـــي اَلْحَيَـــاةِ ** مِثْـــــــلٌ مَـــــــا لِلنُّـــــــورِ
أَيْـــنَ لَـــوْلَا اَللَّيْـــلُ حَسَـــنْ اَلنَّيِّـــرَاتِ ** أَيُّهَـــــــــا اَلْمَغْـــــــــرُورِ
حِـــينَ أَدْنُـــو فِـــي لَيَـــالِي اَلطِّـــوَالَ ** مِـــــــنْ حُمَّـــــــى اَلْإِلْهَـــــــامِ
وَتَـــرَى عَيْنَـــايَ فِـــي أَرْضِ اَلْخَيَـــالِ ** رَوْضَـــــةُ اَلْأَحْـــلَامِ
هَـــذِهِ اَلـــدُّنْيَا فَخُـــذْهَا يَـــاغْنِي ** وَأَمْلِـــــــــكُ اَلْمَعْمُـــــــــورَ
أَنَـــا لَـــوْ خَيَّـــرَتْ مِنْهَـــا فَـــأَعْطِنِي ** خَيْمَـــــــــةُ اَلنَّـــــــــاظُورِ (٥٦)

ويتصور الشاعر ايليا أبو ماضي في قصيدته" الشاعر في السماء"أن الله سبحانه وتعالى رفعه من هوة الشقاء ال السماء العليا وشاد له قصراً فوق السماء بين يدي ربه يعيش في رحابه، وصار في طاعته الضياء والريح يصرفها كيف يشاء. ولكنه رغم النعيم الابدي والكرم الذي أغدقه الله عليه لم يزل حزيناً متألماً تضيف به نفسه ذرعا، وكان هذا أمراً غريباً عند الله سبحانه وتعالى فقال: أيمكن أن يشقى بشر في عالم كله نور وسمو وسناء؟ لعل الشاعر يصبو الى النساء الفيد، أو الى الحمرة:

رَآنِـــــــي اَللَّهُ ذَاتَ يَـــــــوْمِ ** فِـــي اَلْأَرْضِ أَبْـــكِي مِنْ اَلشَّقَاءِ
فِـــــــرَقِ وَاَللَّهِ ذُو حَنَـــــــانٍ ** عَلَـــــى ذَوِي اَلضُّـــــرِّ وَالْعَنَـــــاءِ
وَقَـالَ : لَيْـسَ اَلتُّـرَابُ دَارًا ** لِلشِّـــعْرِ ، فَـــارْجِعْ إِلَـــى اَلسَّـــمَاءِ
وَشَـــادٍ فَـــوْق اَلسَّـــمَّاكْ بَيْتِـــي ** وَمـَد مَلَـكِـيّ عَلَـى اَلْفَضَـاءِ
فَالْتَفَـتَ اَلشُّـهُبَ حَـوْلَ عَرْشِي ** وَسَـــارَ فِـــي طَـــاعَتِي اَلضِّـــيَاءَ

وَصِـــرْتُ لَا يَنْطَـوِي صَبَـاح ** إِلَّا بِـــــــــأَمْرِي وَلَا مَسَـــــــــاءً
وَلَا تَسـوُّقَ اَلْغُيُـــومِ رِيـــحِ ** إِلَّا وَلِـــــــيُّ فَوْقَهَـــــا لِـــــوَاءٌ
فَالْأَمْـرُ بَيْـنُ اَلنُّـــجُومِ أَمْـرِي ** لِـــي اَلْحُكْـــمُ فِيهَـــا وَلِـــيُّ اَلْفَضَـــاءِ
لَكِنَّنِـــي لَـتمْ أَزَلْ حَزِينـــًا ** مُكْتَئِـــــب اَلـــرُّوحِ فِـــي اَلْعَـــلَاءْ
فَاسْتَغْـرَبَ اَللَّهُ كَيـفَ أَشْـقَى ** فِـــي عَـــالَمِ اَلْـــوَحْيِ وَالسَّـــنَاءِ
وَقَـــالَ : مَـــازَالَ آدَمِيًّـــا ** يَصْـــبُو إِلَـــى اَلْغَيْـــدْ وَالطِّـــلَاءُ (٥٧)

ومع هذا كله فقد بقي الشاعر كئيباً حزيناً،وأن بلاءه ونواحه قد ازداد وأصبح جهراً بعد أن كان في الخفاء:

وَمِـــنْ رُوحِـــيّ فَاسْـــتَلَّ مِنْهَـــا ** شَـــوْقِي إِلَـــى اَلْخَمْـــرِ وَالنِّسَـــاءِ
وَطَـــنَ أَنِّـــي اِنْتَهَـــى بَلَائِـــي ** فَلَـــمْ يَزْدَنِـــي سِـــوَى بَـــلَاءِ
وَاشْـــتَدَّ نُـــوحِي وَصَـــارَ جَهْـــرًا ** وَكَـــانَ مِـــنْ قَبْـــلُ فِـــي اَلْخَفَـــاءِ
وَصَـــارَ دَمْعِـــيٌّ سُـــيُولِ نَـــارٍ ** وَكَـــانَ قَـــبْلاً سُـــيُولَ مَـــاءِ (٥٨)

ويتوجه اليه رب العزة والجلال فيما اذا كان يشتهي ان يكون طيراً أو نجماً أو يبتغي مالاً أو قصوراً أو رياضا أو اماء أو جنوداً الا أن الشاعر في قلبه أمنية يسترها الخوف والحياء. اسمعه يقول:

يَأَيُّهَـــا اَلشَّـــاعِرِ اَلْمَعْنَـــى ** حَيَّـــرَنِي دَاؤُكَ اَلْعَيَـــاءُ
هَـــلْ تَشْـــتَهِي أَنْ تَكُـــونَ طَيْـــرًا ؟ ** فَقُلْـــتُ : كَـــلَّا وَلَا غِنَـــاءَ
هَـــلْ تَشْـــتَهِي أَنْ تَكُـــونَ نَجْمًـــا ؟ ** أَجَبـــتُ : كَـــلَّا ، وَلَا بَهَـــاءَا
هَـــلْ تَبْتَغِـــي اَلْمَـــالَ ؟ قَلَّـــتْ : كُـــلَّا ** مَـــا كَـــانَ مِـــنْ مَطْلَبِـــيّ اَلثَّـــرَاءِ
وَلَا قُصُـــــورًا ، وَلَا رِيَاضًـــــا ** وَلَا جُنُـــــودًا وَلَا إِمَـــــاءً
وَلَا حَنِينِـــي إِلَـــى اَلْقَنَـــانِي ** وَلَا اِشْـــتِيَاقِي إِلَـــى اَلظِّبَـــاءِ
لَكِـــنَّ أَمْنِيـــَّةً بِنَفْسِـــي ** يَسْـــتُرُهَا اَلْخَـــوْفُ وَالْحَيَـــاءُ (٥٩)

ولكن ماهي الامنية التي يتمناها الشاعروالتي هي افضل واحسن واسمى من المال الكثير والقصورالشامخة والرياض البهيجة؟ ان امنيته ان يقضي الصيف والشتاء في لبنان:

فَقَالَ : يَاشَاعْرَا عَجَبًا ** قَلَّ لِي إِذْنُ مَا اَلَّذِي تَشَاءُ
فَقُلْتَ : يَارْبْ فَصْلُ صَيْفٍ ** فِي أَرْضِ لُبْنَانَ أَوْ شِتَاءِ
فَأَنَّنِي هَهُنَا غَرِيبٌ ** وَلَيْسَ فِي غُرْبَةِ هَنَاءْ (٦٠)

فأستضحك الله سبحانه وتعالى مما اراد الشاعر لان لبنان ارض ككل ارض وبشره مثل بقية البشر، وفيه سعادة وشقاء، وأهله فيهم التقي والفاسق:

فَاسْتَضَحَكْ اَللَّهُ مِنْ كَلَامِي ** وَقَالَ : هَذَا هُوَ اَلْغَبَاءُ
لُبْنَانُ أَرْضُ كَكُلِّ اِرْضَ ** وَنَاسُهُ وَالْوَرَى سَوَاءٌ
وَفِيهِ بُؤْسٌ وَفِيهِ نُعْمِي ** وَارْدِيَاءْ وَأَتْقِيَاءُ (٦١)

ان اشتياق الشاعر الى بلده لبنان بكل حسناته وسيئاته هو الذي جعل الله سبحانه وتعالى أن يرى اذا كان لبنان يستحق كل هذا الحب والحنين، فأشرف من علاه على لبنان واذا بها ليس بلاداً ككل البلاد، وأنما هي سماء عالية،ومع أن " مثل هذه التعابير مما لايليق بمقام الالوهية وتتعارض مع التنزيه الواجب لله" (٦٢) الا أنني وجدت نفسي مضطراً الى أثباتها استجابة للرأي العلمي المطلوب. فهو يقول:

فَأَيُّ ش تَشْتَاق فِيهِ؟ ** فَقُلْتُ : مَاسُرْنِي وَسَاءَ
تَحِنْ نَفْسِي إِلَى اَلسَّوَاقِي ** إِلَى اَلْاَقَاحِي ، إِلَى اَلشَّذَاءْ
إِلَى اَلرَّوَابِي تُعَرِّي وَتُكْسَى ** إِلَى اَلْعَصَافِيرِ وَالْغِنَاءِ
إِلَى اَلْعَنَاقِيدِ وَالدَّوَالِي ** وَالْمَاءُ وَالنُّورُ وَالْهَوَاءُ
فَأَشْرَفَ اَللَّهُ مِنْ عُلَاهُ ** شَهِدَ " لُبْنَانُ " فِي اَلْمَسَاءِ
فَقَالَ : مَا أَنْتَ ذُو حَنُونٍ ** وَإِنَّمَا أَنْتَ ذُو وَفَاءِ
فَإِنَّ لُبْنَانَ لَيْسَ طَوْدًا ** وَلَا بِلَادًا ، لَكِنَّ سَمَاءً (٦٣)

وفي القصيدة "لبنان" يرى الشاعر أن وطنه سيبقى شامخاً على مر العصور والدهور،ولن تستطيع أية قوة في الارض أن تلين عريكته أو توهنه وتضعفه، وأنه وطن الجمال والشعر:

اِثْنَانِ أَعْيَا اَلدَّهْرُ أَنْ يَلِيهِمَا ** لُبْنَانُ وَالْأَمَلِ اَلَّذِي لِذَوِيهِ
نَشْتَاقُهُ وَالصَّيْفَ فَوْقَ هِضَابِهِ ** وَنَحْبُهُ وَالثَّلْجُ فِي وَادِيهِ
وَإِذَا اَلصَّبَايَا فِي اَلْحُقُولِ كَزَهْرِهَا ** يَضْحَكْنَ ضَحِكًا لَا تُكَلِّفُ فِيهِ
هُنَّ اَللَّوَاتِي قَدْ خَلَقْنَ لِي اَلْهَوَى ** وَأَبِي عَلَى اَلْأَيَّامِ أَنْ تَطْوِيَهُ
وَطَنِيٌّ سَتَبْقَى اَلْأَرْضُ عِنْدِي كُلَّهَا ** حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهِ اِرْضَ اَلتِّيهَ
سَأَلُوا اَلْجَمَالُ فَقَالَ : هَذَا هَيْكَلِيٌّ ** وَالشَّعَرْقَالْ : بُنِيَتْ عُرْسِي فِيهِ
يَاصَاحِبِي يَهْنِيكْ أَنَّكَ فِي غَدٍ ** سَتُعَانِقُ اَلْأَحْبَابَ فِي نَادِيهِ
وَتَلَذَّ بِالْأَرْوَاحِ تَعْبَقُ بِالشَّذَا ** وَتَهُزَّكَ اَلْأَنْغَامِ مِمَّنْ شَادِيَة
أَنَّ حَدَّثُوكَ عَنْ اَلنَّعِيمِ فَأُطْنِبُوا ** فَأُشْتُقَّتْهُ لَا تَنْسَى أَنَّكَ فِيهِ

وأنت اذ تقرأ قصيدته "شبح"تحس أنه" يودعها أرق عواطفه وأصدق انفعالاته تجاه اشواقه الجارفة الى وطنه واعزازه لكل من فيه ومافيه، أنه يبتعد في هذه القصيدة عن الافتعال والتكلف، ويقترب أشد ما يكون الاقتراب من معين عاطفته الصادقة الصافية في لحظة معاناة حقيقية، فتلهمه ذلك الفيض العذب من الاداء الشعري الجيد الذي تتراءى من خلاله كل نبضة في قلبه، وكل خلجة في احساسه. فهو يجري حوارا بينه وبين لبنان، يعبر فيه عن مشاعر الحب والوفاء المتبادلة بين الوطن وأبنائه،فلبنان يعتب على ابنائه غيابهم الطويل عنه، ويهتف بهم الا ينسوه لانه مانسيهم، ويتمنى أن يسرعوا بالعودة اليه لكي ينعموا مرة اخرى بربوعه الطيبة الامنة التي اختصها الله بالجمال والرواء والفتنة فليس لها شبيه ولا نصير" [٦٤] وفي ختام القيدة يوضح الشاعر أن هجره للوطن لم يكن ناتجا عن ملالة أو خوفاً أو هرباً من الغاصب، وانما أنف حياة الذل والهوان مع المستعمرين وظلمهم:

يَاشَاعَرِي قَلَّ لِلْآلِيّ هَجَرُونِي ** أَنَا مَانسِيتِكِمْ فَلَا تِنُوسْنِي
ابَالْكَمْ طَوَّلْتُمْ حَبْلُ اَلنَّوَى ** يَالِيتْ هَذَا اَلْحَبْلِ غَيْرِ مَتِينِ
قَدْ طُفْتُمْ اَلدُّنْيَا فَهَلْ شَاهَدْتُمْ ** جَبَلاً عَلَيْهِ مَهَابَتِي وَسُكُونِي

أَوْرَدْتُـــمْ كَمَنَاهِلِـي ؟ اِنْشَقَّـتُمْ كَازَاهْـرِيْ فِي اَلْحَسَـنْ وَالتَّلْوِيـــــنُ
وَلَقَـــدْ تَظَلَّلْـــتُمْ بِأَشْـــجَارِ فَهَـــلْ ** رَفَـــتْ غُصُـــونُ فَـــوْقَكُمْ كَغُصُـــونِي؟
وَسَـــمِعْتُمْ شَـــتَّى اَلطُّيُـــورِ صُـــوَادَحَا ** أَسْـــمَعْتُمْ أَشْـــجَى مِـــنْ اَلْحَسُّـــونْ؟
هَـــلْ أَنْبَتَـــتْ كَـــالْأُرْزِ غَيْـــرِي بُقْعَـــةً ** فِـــي مَـــجْدِهِ وَجَـــلَالِهِ اَلْمَيْمُـــونِ
أَرَأَيْـــتُمْ فِـــي مَـــا رَأَيْـــتُمْ فِتْنَتُـــهُ ** كَالْبَـدْرِ حِيـن يُطِـلُّ مِنْ صِنِـينْ
أَوْ كَالْغَـزَالَةِ وَهِيَ تَنْفَضُّ تِبْرُهَـا ** عِنْـــدَ اَلْمُغَيَّـــبِ عَلَـــى ذُرَى حَرْمُـــونْ؟
مَـــرَّتْ قُـــرُونٌ وَانْطَـــوَتْ وَكَـــأَنَّنِي ** مَحَاسِـــنِي كَوَّنَـــتْ مُنْـــذُ سِـــنِينَ
أَبْلَيْتُهَـــا وَبَقِيَـــتْ ، إِلَّا أَنَّنِـــي ** لِلشَّـــوْقِ كَـــادَ غِيَـــابُكُمْ يَبْلِينِـــي [٦٥]

ويفتخرالشاعر ايليا ابو ماضي بانتسابه الى لبنان، وقد أوقف قلمه وحسامه ولسانه من أجله، ويعتز لذكراه طرباً واعتزازاً . **اسمعه يقول:**

لُبْنَـــان " بِـــلَادِي وَكَفَـــانِي ** فَخْـــرًا أَنَّ اِدَّعَـــى لُبْنَـــانِيٌّ
وَطَنِـــيٌّ اَلْمَحْبُـــوبِ لَـــهُ وَقْـــفٌ ** قَلَمِـــي وَحْسَـــامِي وَلِسَـــانِي
أَهْتَـــزّ لِـــذِكْرَاهُ طَرَبًـــا ** مَـــا أَحْلَـــى ذِكْـــرَى اَلْأَوْطَـــانِ [٦٧]

ويقول أيضاً:

أَهْـــوَى بِـــلَادِي دَانِيًـــا أَوْ نَائِيًـــا ** أَعْلَـــى فِـــي حُـــبِّ اَلْـــبِلَادِ جَنَـــاح ؟
زَعَـمَ اَلْعَـوَاذِلَ أَنَّ سَلْوَتُكَ وَيْـحَـهُمْ ** غَيْـــرَ اَلسَّـــلْوَ لَـــنْ أُحِـــبَّ يُتَـــاحُ
" لُبْنَـانَ " حَسْبِـي أَنَّنِـي لَكَ أَنْتَمِي ** وَكَفَـاكَ أَنِّـي اَلْبُلْـبُلُ اَلصّـــدَّاحُ
أَشْـــدُو بِـــذِكْرِكَ مَابَقِيـــتْ ، وَمُرَقِّمِـــيَ ** تُجْـــرَى بِـــهِ فَـــوْق اَلطُّـــرُوسْ اَلـــرَّاحْ
قَـالُوا : سَـكَتُ ، فَقُلْـتُ : لَـيْسَ بَضَـائِرِي ** بَعْـــضُ اَلسُّـــكُوتِ كَأَنَّـــهُ إِفْصَـــاحُ
فَلَرُبَّمَـــا صَـــمَتَتْ شِـــفَاهٌ ذَوِي اَلْهُـــدَى ** عَمْـــدًا ، لِكَـــيْ تَتَخَاطَـــبَ اَلْأَرْوَاحُ [٦٨]

وأكد لنا أمين الريحاني حبه لوطنه بقوله:عدت الى وطني طالبا فيه راحة العقل وراحة النفس وراحة الجسد بل طالبا فيه شيئاً أشرف من كل ذلك واسمى طالبا فيه الطبيعة، ولجأت الى العزلة في قريتي

هربا من الحضارة ومتاعبها وشغفا بالطبيعة وجمالها، وحباً بالتأمل ولذاته وتقربا من الله وبركاته" [٦٩] .

ويروي لنا الريحاني ما جرى من حديث بين شجرة كبيرة من الصنوبر واخرى صغيرة قائلاً" في صباح يوم من أيام فصل الشتاء سمعت حديثاً دار بين شجرة كبيرة من الصنوبر وأخرى صغيرة أو بين أم الغابة واحدى بناتها.

قالت الابنة :من هذا الغريب الذي لا يخاف السكن معنا في هذا الشتاء؟ فأجابت الام. ماهو بغريب يابنيتي. وانما هو من نبات هذه الارض ومن سنديان هذه الجبال، هو من أبنائنا يابنية. وقد طالما حملته من ثماري لما كان صغيراً وقد طالما فرشت له من ريشي وصلي ما يزيل من تعب الجسد وهم الفؤاد وبعثت اليه من أرج نسيمي مايروح النفس يحييها ومع ذلك فقد هجرنا زمناً طويلاً وعاد اليوم ليكفر عن ذنوبه امامنا وفي وصلنا. حبيه يابنيتي فأنه يحبنا" [٧٠] .

ويعيش نسيب عريضة مع بلدته حمص كلما سره أمر أو ساءه، ويتمنى أن يشاهد قبره فيها خلال لفضه أنفاسه الاخيرة:

يَـــا دَهْـــرْ قَـــدْ طَـــالَ اَلْبِعَـــادُ عَـــنْ اَلْـــوَطَنِ
هَـــلْ عَـــوْدَةٌ تَرَجَّـــى وَقَـــدْ فَـــاتَ اَلطَّعْـــنُ
عَـــدَّ بِـــي إِلَـــى حِمْـــصِ وَلَـــوْ حَشْـــوَ اَلْكَفَـــنِ
وَأَهْتِـــفُ أَتَيْـــتَ بِعَاشِـــرٍ مَـــرْدُودِ وَاجْعَـــلْ ضَـــرِيحَيْ مِـــنْ حَجَّـــارْ سُـــودِ [٧١]

ويعلل رشيد أيوب نفسه بعودته الى وطنه ليعيش بين هاتين الربى والربوع الت أفنى فيها سويداء قلبه،ولكن الايام لا تسمح له بذلك، ويعلن ان فراقه لسفح صنين انما فرض عليه بالقوة، وأنه اذا ما ذكرالاهل والوطن فاضت عيناه بالدموع :

خَلَقَـــتْ وَلَكِـــنْ كَـــيْ أَمُـــوتَ بَهَاحَبَـــا ** لِـــذَلِكَ تَرَانِـــي مُسْـــتَهَامًا بِهَـــا صِـــبَا
وَأَنِّـــي مُشَـــوِّقٌ كُلَّمَـــا شَـــابَّ رَأْسِـــهِ ** حُـــبِّ اَلَّتِـــي يشْـــتَاقَهَا كُلَّمَـــا شَـــبَّا
فَمَـــا أَنَـــا مِمَّـــنْ أَنْ تَرَامَـــتْ بِـــهِ اَلنَّـــوَى ** تَرُوعُـــهُ اَلـــدُّنْيَا وَلَـــوْ مُلِئَـــتْ رُعْبًـــا
وَلَكِـــنْ لِـــي فِـــي سَـــفْحِ صِـــنِينْ مَوْطِنًـــا ** يُعِـــزَّ عَلِـــي أَنْ أُفَارِقَـــهُ غَصْـــبًا
إِذَا مَـــا ذَكَـــرَتْ اَلْأَهْـــلَ فِيـــهِ فَـــأَنَّنِي ** لَـــدَى ذِكْـــرِهِمْ اَسْـــتَمَطَرْ اَلـــدَّمْعُ مَنْصَـــا
أُعَلِّـــلُ نَفْسِـــيّ أَنْ سَـــئِمَتْ بِعَـــوْدَةٍ ** وَلَكِنَّهَـــا اَلْأَيَّـــامَ تَبَّـــا لَهَـــا تَبَّـــا

فَلِلَّهِ هَاتِيـــــكَ اَلرُّبَـــــى وَرُبُوعِهَـــــا ** فَـــإِنّي قَـــدْ ضَـــيَّعَتْ فِـــي تَرِبَهَـــا اَلْقَلْـــبُ
وِيَاحَبَـــــذَا ذَاكَ اَلنَّسِـــــيمِ فَـــــأَنَّنِي ** لِيُنْعِشِـــــنِي ذَاكَ اَلنَّسِـــــيمِ إِذَا هَبَّـــــا (٧٢)

ويتمنى في قصيدة اخرى العودة الى لبنان قائلاً:

ذَابَـــتْ اَلـــرُّوحَ وَشَـــوْقِي قَـــدْ نَمَـــا ** ولْعَمُـــــويْ غَيَّـــــرَ وَجْـــــدِي مَـــــابِقِىْ
فَحَنَـــــــيْنَ وَأَنِـــــــين وَزَفِيـــــــر ** ذَاكَ دَأْبِـــــيَ مُنْـــــذُ وَدَّعَـــــتْ اَلْـــــبِلَادُ
كَـــــانَ مِـــــنْ شَـــــوْقِي لِلُبْنَـــــان أَطِيـــــرُ ** حَبَّـــــذَا لَـــــوْ تَـــــمَّ لِـــــي نَيْـــــلُ اَلْمُـــــرَادِ

وفي قصيدته"نيويورك " وقفة على الهدسن" تجد الاسى واللوعة والشوق الى الوطن، والدموع الهامية بسبب البعد عن الوطن، وتمنى العودة ولو آخر العمر:

تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي عَلَى شَاطِـــئِ اَلنَّـهْـرِ
فَجَـــاشَ لَهِيـــبُ اَلشَّـــوْقِ فِـــي مَوْضِـــعِ اَلسِّـــرِّ
وَأَرْسَـــلَتْ دَمْعًـــا قَـــدْ جَنَتْهُ يَدُ اَلنّـوَى
عَلِـــــي فَأَمْسَـــــى فِـــــي مُنْتَحِـــــبٍ اَلْقُطْـــــرِ
كَـمّ لَيْـلَةٍ فِي ظُلْمِـهَا قَـدْ قَضِيَّتَـهَا
إِذَا مَـــا ذَكَـــرَتْ اَلْأَهْـــلَ اِبْكِـــي لَـــدَى اَلـــذِّكْرِ
وَكَمّ هَيَّجَـتْ قَلْبَ اَلْمُشَـوّقِ حَمَامَـةَ
بِتَغْرِيـدِهَا مِنْ فَـوْقِ أَغْصَانِهَا اَلْخُضْرِ (٧٣)

أن الحنين الى الوطن لم يكن مقصوراً على أظهار الشوق اليه والتفنن بما كان للشاعر هناك من ذكريات عذبة، وحنين الى أماكن اللهو ومغاني الصبا ومسرح الذكريات واتصال نفسه بطبيعة الوطن الساحرة وانما اتخذ هذا الحنين اشكالاً كثيرة وطرائق مختلفة في التعبير، منها الارتباط بالوطن وما فعلتهُ الغربة في نفوسهم وما لاقوه من متاعب وخيبة أمل والاحساس بالفراغ قد دفعهم الى الثورة والغضب على اولئك الذين كانوا سبباً في ترك اوطانهم والزج بهم في معترك هذه الحياة القاسية.

الهوامش :

١. القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي،عزيزة مريد ت،ص٦٣.

٢. المصدر نفسه،ص٦٣.

٣. المصدر نفسه،ص٦٤.

٤. شعراء العصبة الاندلسية في المهجر،د.عمر الدقات، مكتبة دار الشرق،بيروت،١٩٧٣م،ص٢٠٥.

٥. حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق،ص٢٣٣.

٦. جوانب مضيئة من الشعر العربي،ص ١٩.

٧. دراسات في الشعر العربي المعاصر،ص١٦٦.

٨. التجديد في شعر المهجر ،ص١٧٣.

٩. التجديد في شعر المهجر،ص١٧٣.

١٠. حركة التجديد الشعري في المهجر،ص٢٣٤.

١١. الحنين والغربة في الشعرالعربي الحديث ،ص٩.

١٢. الشعر والشعراء،جـ ١،ص١٠٥.

١٣. الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ،ص١٠.

١٤. الشعر والشعراء، ابن قتيبة،جـ١- ص٣٥٤.

١٥. أنظر : حركة التجديد الشعري في المهجر،ص٢٣٥.

١٦. ديوان البحتري- جـ٢- تحقيق حسن كامل الصيرفي،ص١٤٢٣.

١٧. الشوقيات.

١٨. حركة التجديد الشعري في المهجر،ص٢٣٩.

١٩. ديوان نعمة الحاج،ص١٧٥.

٢٠. الخمائل، ص٥٦.

٢١. نفس المصدر،ص٥٧ .

٢٢. الخمائل ، ص٥٦.

٢٣. جبران خليل جبران،ص٢٠٨.

٢٤. المراحل ، ميخائيل نعيمة ، ص٦٦.

٢٥. المواد بالصبي ميخائيل نعيمة.
٢٦. المراحل ، ص٦٥.
٢٧. هي الدنيا ، ص٧٣.
٢٨. أغاني الدرويش ، ص ٧٢.
٢٩. شعراء الرابطة القلمية ، ص ٢٠١ .
٣٠. الايوبيات ، ص١٤٢.
٣١. اغاني الدرويش ،ص٦٩.
٣٢. الارواح الحائرة، ص٩٠.
٣٣. انظر :العروبة في شعر المهجر ،ص٤٥.
٣٤. الارواح الحائرة، ص١٠٧.
٣٥. شعراء الرابطة القلمية، ص٢١٠.
٣٦. ديوان الارواح الحائرة،ص١٠٨.
٣٧. المصدر السابق،ص١١٠.
٣٨. الارواح الحائرة، ص٢٤٧.
٣٩. ديوان أغاني الدرويش، ص١٢٨.
٤٠. نفس المصدر ،ص١٣٠.
٤١. أدب المهجر بين اصالة الشرق وفكر الغرب، ص٥٨٥.
٤٢. ديوان نعمة الحاج،ص٣٠٥.
٤٣. دراسات في الشعر العربي المعاصر ،ص٢٦.
٤٤. ديوان هي الدنيا،ص٦٥ .
٤٥. شعراء الرابطة القلمية،ص٢٠٦.
٤٦. ديوان هي الدنيا، ص١٣٦.
٤٧. ديوان نعمة الحاج،ص٣٢.
٤٨. ديوان مسعود سماحة، ص٣٣.

٤٩. المصدر نفسه، ص٣٤.

٥٠. ديوان مسعود سماحة،ص٢٦.

٥١. المصدر نفسه،ص١٦٣.

٥٢. المصدر نفسه،ص٢١٨.

٥٣. المصدر نفسه،ص١٢٠.

٥٤. ديوان أغاني الدرويش ، ص١٠٦.

٥٥. ديوان اغاني الدرويش،ص١٠٦.

٥٦. الخمائل، ص٦٧.

٥٧. المصدر نفسه،ص٦٧.

٥٨. المصدر السابق، ص٦٨.

٥٩. المصدر نفسه ص٦٨.

٦٠. المصدر نفسه، ص٦٩.

٦١. حركة التجديد الشعري في المهجر،ص٢٥٦.

٦٢. ديوان الخمائل،ص٦٩.

٦٣. حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق.

٦٤. الخمائل، ص١٠٥.

٦٥. نفس المصدر،ص١٠٦.

٦٦. المصدر نفسه.

٦٧. نفس المصدر ،ص١٠٦.

٦٨. الريحانيات،جـ٢،ص١١.

٦٩. المصدر نفسه،جـ٢، ص١١.

٧٠. الارواح الحائرة،ص١١٠.

٧١. ديوان الايوبيات،ص١٧٧.

٧٢. المصدر نفسه،ص٣٧.

الخاتمة:

أن مدرسة الشعر المهجري الشمالي من المدارس الحديثة التي ساهمت مساهمةً فاعلة في الوجود الانساني والقومي ، فقد عبَّروا شعراءها عن مشاعرهم الصادقة المعتزة بإنتمائهم العربي والمهتمة بقضايا الأمة، وحفزوا أبناءها على النضال ضد المستعمرين والجهاد ضد الأعداء والغزاة، وأهتم شعرهم بالإنسان العربي وكرامته وإنسانيته حينما دعا إلى القومية العربية، وعبرعن وجهة نظر الأقطار العربية، المستضعفة مستهدفاً رفع الظلم ومنع العداوات، هذا هو الشعر العربي في المهجر الشمالي، شعرنابع من اعماق قلوبهم، امتاز بنزعته التأملية الواسعة، وقدرته التوظيفية وعمقه وصدقه على صياغة مفاهيم جديدة وترسيخ الأصول الشعرية بفنونها الإبداعية المتجذرة في عمق تاريخ طويل يمتد إلى حضارات نشرت المعارف والفنون واستجادت بالشعر للتعبير عن خلجات النفس وتصوراتهم الذاتية والانفعالية بأساليب ومظاهر متعددة ، ويتحرر من قيود التقليل المتحمسة الجادة الى نشر القيم السامية والمثل العليا بين الناس، والعمل على خلق مجتمع إنساني يسوده العدل والحق والحرية والتآخي.... .

المصادر والمراجع:

١. القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي، عزيرة مريدي، دار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢. شعراء العصبة الاندلسية في المهجر، دزعمر الدقاق،مكتبة الشرق، بيروت، ١٩٧٣م.

٣. الريحانيات، امين الريحاني،المطبعة العلمية،بيروت،١٩٢٢م.

٤. حزمة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق،عبدالحكيم باليغ، مكتبة الشباب،القاهرة،١٩٧٤م.

٥. جوانب مضيئة من الشعر العربي،محمد عبدالغني حسن،مكتبة الانجلو المصرية،بلا تاريخ.

٦. دراسات في الشعر العربي المعاصر،د.شوقي ضيف، دار المعارف،ط٢،القاهرة ١٩٥٩م.

٧. التجديد في شعر المهجر،د.انس داود، مطبعة دار الكتاب، مصر،١٩٦٧م.

٨. الحنين والغربةفي الشعر العربي الحديث،د.ماهر حسن فهمي،معهد البحوث،١٩٧٠م.

٩. الشعر والشعراء،ابن قتيبة،ج١، دار الثقافة،بيروت،١٩٦٤م.
١٠. ديوان نعمة الحاج،المؤسسة الجامعة للنشر،١٩٨٢م.
١١. الخمائل،ايليا أبوماضي، مكتبة صادر،بيروت،بلا تاريخ.
١٢. المجموعة الكاملة المؤلفات جبران خليل جبران،تقديم ميخائيل نعمة، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
١٣. اغاني الدرويش، رشيد ايوب،دار صادر،بيروت،١٩٥٩م.
١٤. شعر الرابطة القلمية،نادرة جميل السراج، دار المعارف،مصر، القاهرة،١٩٦٤م.
١٥. الايوبيات،رشيد ايوب،دار صادر،١٩٥٩م.
١٦. الارواح الحائرة،نسيب عريضة ،نيويورك، ١٩٤٦م.
١٧. ادب المهجرين اصالة الشرق وفكر الغرب، د.نظمي عبد البديع محمد، مطبعة دار الفكر،القاهرة،١٩٧٦م.
١٨. ديوان نعمة الحاج، المؤسسة الجامعية للنشر،١٩٨٢م.
١٩. ديوان مسعود سماحة، مسعود سماحة،نيويورك،١٩٨٣م.